

الصحافيون يلاحقون الخبر في دهاليز الحكومة التونسية

أن الندوات التي درجت على عقدها مؤسسات البلدان الديمقراطية هي ندوات من قبيل اللهو واللعب والحال أنها من صميم الديمقراطية التي تقتضي أصولها وأعرافها وقوانينها من الإعلام إثارة المواطنين ومن الحاكم واجب الشفافية ليؤدي الإعلام ما عليه. أينظونها مئة يمينون بها على الناس؟ لما يخل الحاكم بواجبه في هذا المجال يحفل الصحافيون وزر إخلاله. إن إيراد "أخبار" هي إلى الأوهام أقرب يعطل عمل الصحافيين بل يجرهم جراً إلى الخطيئة الصحافية. فنشر "الأخبار الأوهام" عما يجري في المشاورات دون أدنى كلمة عما يقال فيها بين رئيس الحكومة المكلف وضيوهه يقود الصحافيين المعلقين إلى الاقتراض والتاويل. فالحديث في بلاتوه تلفزيوني أو إذاعي عن الشاي الذي شرهه المرايحي في قصر الضيافة يقود حتماً إلى محاولة التكهّن بما جرى.

إنه وضع مؤلم فعلا أن يصبح "الإخبار" لا نشر وقائع بل نشر ما يراه الجورشي أو المرايحي عن الواقع. يلام على الصحافة اللاتينية، الفرنسية والإيطالية والإسبانية... مقارنة بالصحافة الإنكليزية، أنها لا تكتفي بإخبار المتلقين فقط بل بتوجيههم إلى ما ينبغي أن يفهموه عما أخرجتهم عنه. صحافتنا ذهبت إلى ما بعد ذلك بأن تقول للناس ما الذي ينبغي أن يفهموه مما لا يعلمونه. ويساهم هذا الوضع في مفارقة يعيشها التونسيون وهي سخطهم على عدد من المعلقين ومتابعاتهم لهم في أن. هو وضع يعطل صحافيي المبدآن ويشعرهم بكثير من الغبن ويحطّلهم نذب ما لم يجتروا. على الإعلام وهو وضع قد يكسب بعض سياسيين بدمونهم بما يمنعونهم عن صحافيي المبدآن.

وليس حجب الأخبار حكراً على المشاورات الجارية الآن لتشكيل الحكومة أو طارناً بل هي ممارسة قائمة في مختلف المؤسسات يعيشها الصحافيون يوميا ويؤجلون أحيانا مواضيع بسبب تلامك المعامسات. ويحدث أن يتخلوا عن فترات إخبارية في نشراتهم أو برامجهم الأخرى. ماذا لو فعل الصحافيون ذلك في تغطية مشاورات تشكيل الحكومة؟

لقد تحدث المرشح قيس سعيد على عجل في المناظرة التي جمعت بينه وبين المرشح نبيل القروي يوم 11 أكتوبر عن ضرورة تنظيم مصالح الإصالح الحكومي، في جملة اعتراضية، لم يقف عندها أحد في البلاوة. في المشهد الإعلامي الاتصالي مرض ينخره لا يثبت له إلا نادراً. ليس المكلف بالاتصال في الحكومة داعية رئيسها ولا معلنها بوضاعة يبيعها بل هو مكلف بمد المواطنين بما للحكومة من معطيات ينتج منها الصحافيون أخباراً.

كان على قيس سعيد أن يطلب ممن كلفه بتشكيل الحكومة أن يحرص على التواضع بما يجري في المشاورات فذاك حقه. كيف ينتظر مصالح اتصال حكومية فعالة تخدم المواطنين في الشؤون اليومية، بتسهيل عمل الصحافيين، إذا أحبطت المشاورات بذلك التكم وهي مشاورات تتعلق بخمس سنوات من مستقبلهم؟ إن كل مؤسسة عمومية تسعى لإخفاء المعلومات فاشلة لأن المعلومات كما يدل عليها اسمها جُعلت ليتقاسمها الناس. ذلك فارق من الفوارق الرئيسية بين قوة الصحافة الإنكليزية والأميركية تحديداً، وهن غيرهما. المعلومة ملك عام مشاع لا يمتلكها أحد بل للجميع. هي عندهم كالطريق لا يتسأّر به أحد إلا في ظروف القاهرة لا يبدّر عليها لوقت وجيز مع توفير الدلائل لذلك. عندنا تتشابه أحيانا كثيرة معلوماتنا وطرقاتنا.

في قصته "من الأرض إلى القمر" يقول جول فيرن "ما إن تخطى لأميري فكرة حتى يسارع إلى البحث عن ثاب لتقاسمها. وما إن يصبحوا ثلاثة حتى يتخبثوا رئيساً واثنين من الأمناء. وإن صاروا أربعة يختارون مكلفاً بالإنشيف فينطلق المكتب في العمل...".

كان جول فيرن يتحدث في كتابه الذي نشره عام 1865 عن الاستعداد للصعود إلى القمر قبل أكثر من قرن من حدوثه. كان عقله في خياله الأدبي العلمي أكثر رجاجة من كثير في واقعهم.

محمد شلبي

باحث تونسي في الإعلام

"كان الله في عوننا وفي عون تونس"، جملة قالها المرشح السابق للانتخابات الرئاسية، لطفي المراهي، للصحافيين وهو يغادر قصر الضيافة، في 21 نوفمبر 2019، بعد اجتماعه مع رئيس الحكومة المكلف الحبيب الجملي. ولما لاحقه الصحافيون حتى سيارته بحثاً عما يمكنهم من أداء واجبهم الإخباري، زاد المراهي الأمور تعقيداً بقوله، متجهماً، "بارك الله فيه، أكرم وفادتنا وأسفاننا الشأي".

في اليوم نفسه وفي المكان نفسه كان للنشاط السياسي صلاح الدين الجورشي بعد لقائه مع الشخص نفسه رأي آخر "للجملي صفات نستحقها في هذه المرحلة تتمثل في القدرة على الإنصات... ملامح الحكومة بدأت تتشكل لديه وإن لم يحدد أعضاها بعد". فما الذي فهمه التونسيون يومها عندما نقل إليهم كلام الرجلين في مختلف نشرات الإخبارية؟ لا شيء يمكن اعتباره خبراً. سيفهم عدد منهم أن للرجلين، في أفضل الأحوال، تقديرين مختلفين عن سير المشاورات لتشكيل الحكومة التونسية، وعدد آخر أن الأمور تتسیر من سئى إلى أسوأ. وستفهم فئة ثالثة تنقسم إلى فريقين غير ذلك، فريق يرى أن المراهي على حق وفريق أن الجورشي على حق، وبين الفريقين ليف يسخط عليهما وعلى الصحافيين والسياسيين أجمعين. فمن المسؤول عن ذلك؟ هل أخل الصحافيون بواجبهم المهني؟

مشروع سد النهضة مصدر توتر إقليمي

يشكل مشروع سد النهضة الضخم على النيل الأزرق الذي أطلقته إثيوبيا عام 2011، مصدراً لتوتر إقليمي خصوصا مع مصر التي يدها النيل بنسبة 90 بالمئة من احتياجاتها المائية. عشر دول: يبلغ طول نهر النيل 6695 كيلومتراً، وهو يعد بذلك مع الأساؤون، النهر الأطول في العالم، لكنه يشكل بالإضافة إلى ذلك مصدراً حيوياً للإمدادات المائية وللطاقة الكهرومائية في منطقة أفريقية قاحلة. وتساهي مساحة حوض النيل ثلاثة ملايين كيلومتر مربع، أي 10 بالمئة من مساحة القارة الأفريقية، ويتوزع بين عشر دول هي بوروندي وجمهورية الكونغو الديمقراطية ومصر وإثيوبيا وكينيا وأوغندا وروندا وجنوب السودان والسودان وتنزانيا. ويقدر مستوى تدفقه السنوي بنحو 84 مليار متر مكعب. ويلتقي النيل الأزرق الذي ينبع من إثيوبيا بالنيل الأبيض في الخرطوم ليشكلا مع نهر النيل الذي يعبر السودان ومصر ويصب في البحر المتوسط.

● السد الأكبر في أفريقيا: أطلقت إثيوبيا في عام 2011 مشروعاً تقدر تكلفته بنحو 4 مليارات دولار، بهدف إلى بناء أكبر سد لإنتاج الطاقة الكهرومائية في أفريقيا، بقدرة إنتاج تفوق ستة آلاف ميغاواط.

● يقع سد النهضة على النيل الأزرق على بعد نحو 30 كلم من الحدود مع السودان، ويفترض أن يبلغ طوله 1.8 كلم وارتفاعه 145 متراً. ويبدأ هذا المشروع بإنتاج الكهرباء بحلول عام 2020.

● إمدادات مائية: يمدّ النيل مصر، وهي بلد قاحل يبلغ عدد سكانه 100 مليون نسمة، بنسبة 90 بالمئة من احتياجاتها المائية والزراعية.

تتمسك مصر بـ"حق تاريخي" لها في مياه النيل الذي تضمنه سلسلة اتفاقات مبرمة منذ عام 1929. حينها، حصلت مصر على حق الفيتو على بناء أية مشاريع على النهر. وفي عام 1959، حصلت مصر بموجب اتفاق مع الخرطوم حول توزيع مياه النيل، على حصة بنسبة 66 بالمئة من كمية التدفق السنوي للنيل، مقابل 22 بالمئة للسودان. لكن في عام 2010، وقعت دول حوض النيل على اتفاق جديد رغم معارضة مصر والسودان، ينص على إلغاء حق النقض الذي تتمتع به مصر، ويسمح بإقامة مشاريع ري ومشروع سد لإنتاج الطاقة.

بعض العقول المتكسبة إعلامياً وانصالياً

السودان يستعيد دوره كعنصر وازن في مفاوضات سد النهضة

الخرطوم تعدّل بوصلتها نحو فكرة تعظيم المكاسب للجميع



مشروع حيوي لإثيوبيا ومكلف للسودان ومصر

من العلاقات، ولا يدفع فواتير أو أخطاء نظام سابق، ويقدم نفسه للعالم على أنه ركيزة للسلام في المنطقة. قد تكون هذه واحدة من الزوايا التي ضغطت على الخرطوم، ووضعت الحكومة في شكل من يرفض تبني موقف واضح من سد النهضة، وأدت إلى تضارب التوقعات حيال المربع الذي اختارته.

تنامت حصيلته الاتهامات، ونالت السلطة الانتقالية جانبا كبيرا منها، ففي الوقت الذي تصاعد فيه سقف التفاوض والبلاد دخلت عصرا جديداً، ارتفع معدل الغموض (الخلاق) ودخل مرحلة تهدد كبرى حكمة لا تزال تبحث عن السلام وتمكينها من السيطرة على مقاليد أمور كثيرة مفككة، وتحول سد النهضة إلى وسيلة لاستشفاف عمق التغير في السودان، لأن شريحة كبيرة من تيارات مختلفة تحدثت عن مخاطر قد يأتي بها هذا المشروع، بينما لم يعهد الناس هذا النوع من الخطابات.

وأوضح عبد الله عبدالسلام، وزير الزراعة السوداني السابق، في تصريح لـ "العرب"، أن انحسار تدفق مياه النيل الأزرق يهدد مصالح الخرطوم التي تعتمد عليه في زراعة الأراضي الواقعة في جنوب وشرق السودان.

وأشار إلى أن القضية صعبة بالنسبة للسودان، لأنه لا يملك خزاناً مائياً كبيراً يعتمد عليه في فترات الجفاف، بينما مصر تمتلك بحيرة ناصر وخزان أسوان، يمكنها من تعويض فترة ملاء خزان سد النهضة، وتعويض النقص المتوقع، مطالبا بالتوصل إلى اتفاق حاسم يحمي مصالح الدول الثلاث مستقبلا، عند بناء إثيوبيا لأي سد لاحقا على النيل الأزرق.

أمر واقع

كشفت جولة القاهرة، وقبلها أديس أبابا، بين الدول الثلاث عن رغبة حثيثة للتفاهم، وتجنب التذاعيات السلبية لسد النهضة على كل من مصر والسودان، وفتحنا الطريق أمام مناقشة المحاور بمزيد من الشفافية والوضوح، وقطعتنا فكرة القبول بالسد بحكم الأمر الواقع، أو الصرّح للضوابط التي وضعتها إثيوبيا دون اعتبار لموقف دولتي المصب.

إذا كان سد النهضة لا خلاف عليه كمشروع حيوي للإثيوبية، فإن التفاصيل من الممكن إيجاد صيغة للتفاهم حول جوانبها الإيجابية، طالما أن المبدأ يقوم على تعزيز التعاون الإقليمي بما يتخطى الدول الثلاث. وهي الخطة التي تعزز فكرة تعظيم مكاسب الجميع، ودعم المشروعات التنموية المشتركة. ويمكن أن يكون السودان، بجانب آخرين، عَصَرا وازناً في أزمة سد النهضة وغيرها من الأزمات في المنطقة.

بدأت تظهر ملامح تغيير على الموقف السوداني من سد النهضة الإثيوبي. وانعكس ذلك خلال المفاوضات التي انعقدت على مدى يومين في القاهرة، بدت خلالها الخرطوم أكثر وعياً بالخطر الذي يمكن أن تواجهه بسبب السد الذي أصبح أمراً واقعاً لا تتفق معه المناورات والسياسات البرامغائية التي لعب على حبالها نظام عمر البشير. فصحة السودان، الذي يلتقي عنده النيل الأزرق بالنيل الأبيض، من المياه ستتضرر، بالإضافة إلى التأثيرات البيئية.

محمد أبو الفضل

كاتب مصري

مع ضبط اللغة والسياسات المستخدمة كي تصبغ نكات الخلاف والاتفاق أشد وضوحاً، في إشارة لتلاشي التفسيرات المتضاربة. ويقترح الخيار الآخر التركيز على قضيتين أو ثلاث، مثل التشغيل طويل الأمد، وكيفية المياه المتدفقة، ومتى تبدأ عملية ملاء السد، وهي رؤية عملية تحاول ضبط المسارات وتجنب العودة إلى مفاة المفاوضات الطويلة.

ربما تكون هذه الإشارة هي الثانية التي تصدر عن وزير الري السوداني، فقعب انتهاء الجولة السابقة في أديس أبابا، تحدثت الرجل عن توافق كبير حول سنوات الملاء، ولفت إلى أنه جرى التفاهم على أن تكون مدة سبعة أعوام هي المناسبة، وفي جولة القاهرة تحدثت عن خيارات محددة يمكن تبنيها لتسهيل المفاوضات قبل الوصول إلى محطة واشنطن، والدخول في تفاصيل وساطة لا ترتاح لها كثيراً أديس أبابا.

جاء التطور السوداني متسقاً مع عدد من التطورات، أبرزها أن المفاوضات دخلت مرحلة حاسمة ومن الضروري أن تصل إلى غايتها وهي الاتفاق، لناداي شهب سيناريوهات أخرى غامضة. وعلى الحكومة أن تعرف ماذا تريد، وكيف تصل إلى ما تريد، لأن المرواحة لم تعد مقبولة، وقد تكبدتها خسائر كبيرة بالنسبة لعلاقتها مع كل من مصر وإثيوبيا، وترسخ فتاعانت بشأن الأزمة منحصرة بين هاتين الدولتين، والسودان خارجها أو غير معني بها، مع أنه دولة المصب الثانية، وسوف تتأثر إيجاباً أو سلباً بعد تشييد سد النهضة.

كما أن تشكيل السلطة الانتقالية في السودان، المفترض أن يوحى بانتهاء فترة التوتر السياسي، ويؤكد أن الخرطوم اختارت طريقاً يبعدها عن الطرق المجهولة التي سلكتها إبان عهد البشير، وأنها تدير علاقاتها الخارجية بما يخدم المصالح الوطنية وتبتعد عن العقائدية. منذ البداية خيم ملف سد النهضة على سماء الحكم الجديد، ونظر البعض إلى موقفه من هذا المشروع على أنه بوسلة يمكن بها التعرف على كثير من ملامح التوجهات السياسية الإقليمية، الأمر الذي يمثل عبئاً ثقيلاً، لأنه وضع الحكم الجديد في السودان داخل قالب مع أو ضد، من دون هامش للتعرف على أن هناك ألواناً أخرى بعيدة عن هذه الصيغة القلقة. وهي معادلة باتت موجودة في كثير من التفاعلات الإقليمية والدولية، فما بالنا بنظام لا يزال يتلمس خطواته الأولى نحو الاستقرار، ويريد أن يحتفظ بشكل متوازن

بثلاث مراحل رئيسية. الأولى عرفت دعم رؤية إثيوبيا خلال فترة حكم عمر البشير، وتصويره (السد) على أنه يحمل الخير الكثير للخرطوم. وجرى الترويج لمعلومات تعزز هذا التقدير. والثانية اتسمت بانعدام الوزن، وعدم تبني موقف يغضب ويصدم أديس أبابا، أو غير حتى ومخاوف مصر. وفي الثالثة انخرط وتقديم مقاربات ناعمة، تساعد السودان في الاحتفاظ بعلاقة جيدة مع الطرفين الآخرين، وتؤكد أن الحكومة الجديدة لن تفرط في مصالح السودان.

خياران لحل المشاكل

اقترح ياسر عباس، وزير الري السوداني، على هامش اجتماعات القاهرة، خيارين لحل المشاكل العالقة، أحدهما الاستمرار في المحادثات والبناء على ما تم في جولة أديس أبابا الماضية،

كوايس سد النهضة الإثيوبي تهدد حياة الملايين من المصريين